المحاضرة الرابعة: عمود الشعر

عناصر المحاضرة:

الآمدي ومرحلة التأسيس

عمود الشعر حسب الجرجاني و المرزوقي

أولا الآمدي ومرحلة التأسيس:

يطالعنا الآمدي بإشارات كثيرة لمصطلح عمود الشعر ، فقد سبق النقاد في توظيف المصطلح في ثنايا كتابه، حيث أقر أن عمود الشعر هو الاحتذاء بطريقة الأقدمين في الكتابة، فقد قال: «البحتري أعرابي الشعر، مطبوع، وعلى مذهب الأوائل، وما فارق عمود الشعر المعروف، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام» ، يقتضي عمود الشعر المعروف إذن الابتعاد عن وحشي الكلام ومستكره الألفاظ، مع ما نجده في شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة، و جمال العبارة، وحلاوة الألفاظ، وصحة المعانين حتى وقع الاجماع على استحسان شعره واستجادته.

وقد نسب الآمدي المصطلح إلى البحتري ، فرأى فيه بأنه أقوم بعمود الشعر من أبي تمام، وهو ما يؤكد أن المصطلح قد جاء من الآمدي انتصارا لشعر البحتري؛ لأنه اتهم أبا تمام بالخروج على عمود الشعر، ويرد مصطلح عمود الشعر في موضع آخر من كتاب الموازنة على لسان البحتري يقول فيه: "وحصل للبحتري أنه ما فارق عمود الشعر وطريقته المعروفة، مع ما نجده كثيرًا في شعره من الاستعارة والتجنيس والمطابقة".

ويرتكز عمود الشعر عند الآمدي على نموذج البحتري ، فقد تحدث عنه من حيث الأسلوب، ومن حيث المعاني، ومن حيث الأخيلة والصور. فقد كان يتمثل

شعر البحتري ويضع عناصر عموده على ما في شعره، و يرى بعض الدارسين أن عمود الشعر عند الآمدي جاء صورةً لشعر البحتري، فقد عدّ إحسان عباس عمود الشعر عنده نظرية وُضعت خدمةً للبحتري وأنصاره، فأبعدت الموازنة عن الإنصاف.

ثانيا عمود الشعر حسب الجرجاني والمرزوقي:

لقد ذكر مصطلح عمود الشعر في الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، حيث يقول : «كانت العرب، إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن :بشرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب، وشبه وقارب، وبده فأغزر، ولمن كثرت سوائر أمثاله، وشوارد أبياته، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة، إذا حصل لها عمود الشعر، ونظام القريض » . وهكذا جعل الجرجاني لعمود الشعر أركانا هي:

-شرف المعنى وصحته

-جزالة اللفظ واستقامته

-المقاربة في التشبيه

-الغزارة في البديهة

-كثرة الأمثال السائرة والأبيات الشاردة

أما علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي فقد جعل من عمود الشعر أساسا للتمييز بين شعر القدماء والمحدثين، فقد قال: « فالواجب أن يتبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب، لتمييز تليد الصنعة من الطريف، وقديم نظام القريض من الحديث، ولتعرف مواطئ أقدام المختارين فيما اختاروه، ومراسم

أقدام المزيفين على ما زيفوه، ويعلم أيضا فرق ما بين المصنوع والمطبوع، وفضيلة الآتي السمح على الأبي الصعب» .

وقد تأسس عمود الشعر عند المرزوقي على سبعة أركان هي:

-شرف المعنى وصحته

-جزالة اللفظ واستقامته

-الإصابة في الوصف

-المقاربة في التشبيه

التحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن

-مناسبة المستعار منه للمستعار له

-مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما

وهنا نجده يخالف الجرجاني في استغنائه عن ذكر كثرة الأمثال السائرة والأبيات الشاردة، وغزارة البديهة ، واستبدلها بـالتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن، و بمناسبة المستعار منه للمستعار له، وبمشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما.

وقد ذكر المرزوقي أن الشعر لا يستوي إلا بعمود الشعر ، وأنه يعظمه ويحسنه ويقدره، بل إن الالتزام بالعمود هو إجماع الأقدمين يقول : « فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب، فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها فهو عندهم المغلق المعظم والمحسن المقدم، ومن لم يجمعها كلها فبقدر سهمته منها يكون نصيبه من التقدم والإحسان، وهذا إجماع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الآن » .

ثم جعل المرزوقي لهذه العناصر السبعة معايير تتحقق بها ، وهي التي تبين جودة الشعر ورداءته وهي :

معيار المعنى العقل الصحيح والفهم الثاقب.

معيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال.

معيار الوصف الذكاء وحسن التميز.

معيار التشبيه الفطنة وحسن التقدير.

معيار الاستعارة الذهن والفطنة.

معيار مشاكلة اللفظ للمعنى طول الدربة ودوام المدارسة.